مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

ثنائية الأصالةِ والتطور في الذاكرةِ النسائيةِ السعوديةِ في كتاب: (أمي شيخة ... ذاكرةُ وطن)(*)

https://doi.org/10.55074/hesj.vi56.1920

أمل بنت عبد الله الهويريني
الأستاذ المشارك في الأدب والنقد بقسم اللغة العربية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض

*) تاريخ تسليم البحث 5/1/2026 تاريخ قبوله للنشر 10/2/2026
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

ثنائية الأصالةِ والتطور في الذاكرةِ النسائيةِ السعوديةِ في كتاب: (أمي شيخة ... ذاكرةُ وطن)

أمل بنت عبد الله الهويريني
الأستاذ المشارك في الأدب والنقد بقسم اللغة العربية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض

الملخص

يُوثق هذا البحث مسيرة التحول التاريخي، والاجتماعي في المملكة العربية السعودية من خلال سيرة (أمي شيخة ... ذاكرة وطن)، متتبعًا مراحل التطور من زمن الشظف في الضبيعة، إلى عصر التمكين في السيح والخرج، وقد اعتمد البحث المنهج الموضوعاتي؛ لتمحيص وتحليل المحاور الجوهرية التي شكلت الهوية الوطنية؛ إذ يسلط البحث الضوء على دور المرأة السعودية بوصفها قائدًا اقتصاديًا، ومديرًا لأزمات اقتصاد الصمود، عبر تتبع الموضوعات الكبرى، من الانتقال إلى العيش الفطري في البيوت الطينية مرورًا بالحداثة المؤسسية، وصولًا إلى جني ثمار ورؤية المملكة (٢٠٣٠م)، ويبرز أهمية البحث في كشف الروابط بين الذاكرة الوجدانية للمجتمع، وبين الهوية الوطنية، مؤكدةً على قيم التكافل والانتماء؛ فهي ركائز ثابتة في وجه تيارات التحديث.

الكلمات المفتاحية: ثنائية الأصالة، الذاكرة النسائية السعودية، أمي شيخة، ذاكرة وطن.

The Interplay of Authenticity and Modernity in Saudi Women's Memory in the Book: (My Mother Sheikha… A Nation's Memory)

AMAL BINT ABDULLAH AL-HUWEIRENI

Associate Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language
College of Humanities and Social Sciences
PRINCESS NOURAH BINT ABDULRAHMAN UNIVERSITY, Riyadh

Abstract

This research documents the historical and social transformation of Saudi Arabia through the biography of "Ommy Sheikha," tracing the evolution from the "era of hardship" in Al-Dhabiah to the "era of empowerment" in Al-Saih and Al-Kharj. The study employs a Thematic Approach to analyze the core themes that shaped the national identity, highlighting the Saudi woman's role as an economic leader and crisis manager (Economy of Resilience). By tracking major thematic shifts, the research monitors the transition from traditional living in mud houses to institutional modernity, culminating in the realization of Saudi Vision 2030. The significance of this study lies in revealing the links between the community's emotional memory and the state's sovereign identity, emphasizing solidarity and belonging as steadfast pillars in the face of modernization.

Keywords: Thematic Approach, Economy of Resilience, Sovereign Memory, Saudi Vision (2030).

المقدمة:

تُعدُّ الذاكرة الوطنية لأية أمة هي الحصـــن الحصـــين لهويتها، والركيزة التي تنطلق منها نحو آفاق التطور دون انبتاتٍ عن الجذور، وفي سياق التجربة السعودية يبرز إقليم (الخرج) بمناطقه (الضبيعة، الهياثم، السيح) بوصفه شاهدًا حيًّا على ملحمة التحول الكبرى التي قادتها الدولة، منذ عهد التأسيس على يد الملك عبد العزيز – طيب الله ثراه – وصولًا إلى عهد الرؤية الطموحة.

أهداف البحث:

يكمن أهمية البحث في محورين:

١- الذاكرة النسائية واقتصاد الصمود ضمن الأدبيات التي تتناول التاريخ الاجتماعي للمملكة.

٢- توثيق الدور الريادي للمرأة الســعودية في إدارة الأزمات الكبرى (الأوبئة، ســنة جبار، شــح الموارد)، وإثبات أن التمكين الحالي هو ثمرة غرسٍ تاريخي ضارب في الجذور.

٣- العوامل التي أسهمت في التطور في مجتمع (الخرج) الذي يمثل كل مناطق المملكة العربية السعودية.

حدود البحث:

سيدرس البحث كتاب (أمي شيخة ... ذاكرة وطن) وهو رواية شفهية من شيخة بنت راشد بن حمد بن داود التي ولدت في الضبيعة سنة (١٣٥٤هـــ)، شيخة تجاوز عمرها تسعين عامًا وقت طباعة الكتاب ســنة (٢٠٢٥م)، وقد عاشــت شــظف العيش الذي مر بالمجتمعات كلها في الجزيرة العربية، ثم تحســنت الأوضــاع فيما بعد، ثم عاصــرت زمن التطور والخير والنماء، عاشــت زمن طفرة الســبعينيات إلى زمن رؤية (٢٠٣٠م)، وقد سجلت ابنتها سارة بنت عبدالله الخزيم سيرة والدتها بأسلوب أدبي في (الكتاب موضوع البحث)، وقد توجه هذا البحث لدراسة هذه السيرة الذاتية.

منهج البحث:

اتخذ البحث من المنهج الموضوعاتي (Thematic Approach) ركيزةً أساسيةً لتحليل مضمون كتاب "أمي شيخة ... ذاكرة وطن "؛ إذ يُتيحُ هذا المنهجُ استنباطَ أبرز الأفكار الاجتماعية في ذاكرة (شيخة)، والموضـــوعات التي تمتدُّ عبر الأزمنة الممتدة منذ توحيد المملكة العربية الســـعودية وحتى يومنا هذا في متن الســيرة الأدبية، ويهدفُ اســتخدامُ هذا المنحى المنهجي إلى تفكيك البنية الســردية؛ لاســتخراج ثيماتٍ جوهرية، يتصدرُها (موضوعُ الصمود، وموضوعُ التكافل، وموضوعُ التطور المؤسسي).

ويسمحُ هذا المنهجُ بمدِّ الجسور بين التجربة الفردية الذاتية، وبين الرؤية الوطنية الشاملة؛ حيث لا يكتفي البحث برصد الأحداث في تتابعها الزمني، بل تتقصى كيفية تحول تلك الموضوعات من ممارساتٍ فطرية في حياة الأفراد، إلى ركائزَ متينة تُشكلُ ملامحَ الدولة الحديثة.

الدراسات السابقة:

كشف الاستقراءُ العلمي للدراسات التي أرّخت لمنطقة الخرج، وتوابعها عن وجود مساراتٍ بحثيةٍ متنوعة؛ إذ اتجهت فئةٌ منها نحو رصد الأبعاد الجغرافية، والاقتصادية لمشروع الخرج الزراعي، وبرزت في هذا السياق دراسةُ محمد الجديد المعنونة بـ(مشروع الخرج الزراعي... التنمية الحديثة بأيدٍ وطنية، جريدة الرياض، (٢٠٠٧م)، وتلتها دراسةُ محمد زيادكبة الموسومة بـــ(مشروع الخرج الزراعي في عهد الملك عبد العزيز من خلال الوثائق الأمريكية، مجلة الدرعية، (٢٠٠١م).

وهذه الدراسات لا علاقة لها بالدراسة الأدبية والنقدية تلتقي مع البحث في المعلومات التاريخية فقط، فموضوع هذا البحث يتجه لدراسة السيرة الذاتية في حدود النقد الأدبي، والكتاب (أمي شيخة ... ذاكرة وطن) حديث الطبع ولم يدرس أدبيًا أو نقديًا، واستفاد البحث في توثيق بعض المعلومات من هذه الدراسات.

هيكل البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: مرحلة "الضبيعة": القيادة الاقتصادية، والإدارة الذاتية في زمن الشظف.

المبحث الثاني: مرحلة "الهياثم والسيح": مخاض التطور، والتحول المؤسسي.

المبحث الثالث: عوامل التطور في المجتمع الصغير ثم الوطن حتى الوصول إلى جني ثمار رؤية (٢٠٣٠م).

التمهيد: التعريف بفن السيرة الذاتية

من فنون النثر السردية السيرة الذاتية، ومتى ماكانت صياغة السيرة دقيقة وفنية ستقدم أدبًا وأفكارًا وتاريخًا وستوثق معلومات قد لا توثقها كتب التاريخ، فالسيرة الأدبية تعكس تفاصيل حياة صاحبها وتقاسيم المجتمع.

ولتوضيح السيرة الذاتية يقدم البحث تعريفًا لغويًا موجزًا واصطلاحيًا لهذا الفن السردي، السيرة في اللغة هي الطريقة[1]، أي أنها تصور طريقة حياة صاحب السيرة.

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، (سير).

وتدرس السيرة في مجال الأدب والنقد إذ هي: "سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته الماضية"(١).

الصدق المطلق غير وارد في الفنون حتى في السيرة الذاتية، ولكنها يجب ألا تخلو من تحري الصدق(٢).

وفن السيرة الذاتية بدأ في العصر الحديث حيث ازدهر منذ بداية القرن العشرين، وتعددت صوره الأدبية كاليوميات والمذكرات والاعترافات(٣).

وتعرف السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث بأنها: "عمل أدبي يقوم صاحبه بتأليفه، يعرض لسيرة حياته دون أن يلزم نفسه بمنهج المؤرخ، الذي يرصد كل أحداث عصره...، ومن هذا التعريف للسيرة الذاتية نستبعد كثيرًا من صور التعبير الذاتية، كالأحاديث الصحفية... أو الاعترافات الخاصة..."(٤).

وقد استخدم كثير من الدارسين السيرة بمعنى الترجمة، وكلمة السيرة هي الأقدم في التراث العربي من حيث مدلولها في تتبع تاريخ حياة شخص، فمصطلح السيرة استخدمها "محمد بن إسحاق" في تاريخ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"(٥).

وقد ظهرت بواكير السيرة الذاتية في الأدب السعودي في سطور كتبها الأديب السعودي (محمد سرور صبان (١٣١٦-١٣٩١هـ)، ثم ظهرت رواية السيرة الذاتية للكاتب (أحمد السباعي) وقد شهد العقدان الأخيران من القرن العشرين ازدهارًا كبيرًا لفن السيرة الذاتية في الأدب السعودي، ثم نتج عن هذا الكم الكبير من الإصدارات حركة نقدية نشطة، أرخت لهذا الفن، وعرفت بأبرز الكتب، وعرفت بمؤلفيها(٦).

فالسيرة الذاتية تكتب بأسلوب أدبي، وتروى بسرد فني ناتج عن تفاعل صاحب السيرة مع تجاربه الحياتية، ومن مزايا السيرة المدروسة أن (شيخة) تحكيها شفاها، ثم صاغتها أدبيًّا ابنتها سارة بنت عبد الله الخزيم.

تُعدُّ الذاكرة النسائية هي الحصن الحصين للهوية الوطنية؛ فهي ذاكرةٌ لا تحفظ الأحداث فحسب بل تحفظ القيم، وأدوات البقاء التي تناقلتها الأجيال، وفي سياق التجربة السعودية يبرز إقليم "الخرج" بوصفه شاهدًا حيًّا على ملحمة التحول الكبرى؛ إذ لم تكن المرأة مجرد شاهدة، بل كانت الحارس الأمين للذاكرة،

(١) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، تونس، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، (٢٠٠٠)، ص٢٠٢.

(٢) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د. يحيى عبد الدايم، دار النهضة، لبنان، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص٦.

(٣) السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د. شعبان عبد الحكيم محمد، الوراق للطباعة، الأردن، عمّان، ط١، (٢٠١٥م)، ص١٥.

(٤) السيرة الذاتية، د. شعبان عبد الحكيم، ص٣٣.

(٥) السيرة الذاتية، د. شعبان عبد الحكيم، ص١٦.

(٦) الأدب السعودي، مجموعة مؤلفين، دار جامعة الملك سعود للنشر، (١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، ص٢٩٣.

التي وثّقت بمسيرة حياتها كيف استطاعت المرأة السعودية أن تكون الركيزة الصلبة التي قامت عليها الأسرة والمجتمع في أصعب الظروف.

ويأتي كتاب (أمي شيخة ... ذاكرة وطن) لمؤلفته سارة بنت عبد الله الخزيم، والصادر عن دار الثلوثية للنشر والتوزيع بطبعته الأولى لعام (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)؛ ليكون الوعاء المصدرِي الذي ينقل هذه الذاكرة من حيز الرواية الشفهية إلى حيز التدوين الأدبي الرصين، ويتميز هذا الكتاب بكونه وثيقة اجتماعية أدبية نادرة، مسجلة رسميًا في مكتبة الملك فهد الوطنية، لا تكتفي بسرد الأحداث، بل توثق التحولات المادية، والروحية لإنسان منطقة الخرج (الضبيعة، الهياثم، السيح) عبر أجيال؛ وهو ما يجعله الجسر الرابط بين تاريخ الأفراد، وتاريخ الدولة العظيم.

ولتحليل هذا المحتوى الغني، واستنطاق مكنوناته، اعتمد البحث على المنهج الموضوعاتي (Thematic Approach)؛ وهو منهج لا يكتفي بالرصد التاريخي الخطي للأحداث، بل يغوص في أعماق النص لاستخراج الوحدات الدلالية أو الموضوعات الأبرز، التي تتكرر، وتُشكل هيكل الهوية.

وتأسيسًا على هذا المنظور المنهجي، تشرعُ الدراسة في تتبع أولى تلك الوحدات الجوهرية، وهي "ثيمة الصمود" التي انبثقت من قلب المعاناة والندرة، ويبرزُ إقليم "الضبيعة" منطلقًا مكانيًا وزمانيًا لهذه التجربة؛ إذ تشكلت الملامح الأولى للسيادة التدبيرية للمرأة السعودية، وتجلى فيها قدرة الإنسان على صياغة الحياة من شظف العيش، وهو ما نتقصاه في المبحث الآتي:

المبحث الأول: مرحلة "الضبيعة": القيادة الاقتصادية والإدارة الذاتية في زمن الشظف

تُمثل هذه المرحلة نموذجًا تاريخيًا فريدًا لما يمكن تسميته باقتصاد الصمود؛ إذ لم تكن المرأة فيها مجرد شريكٍ في تدبير المعيشة، بل كانت القائد الفعلي لمنظومة اقتصادية موازية، استطاعت من خلالها مجابهة قسوة المناخ، وشُح الموارد بكفاءة واقتدار، وتتجلى هذه الريادةُ النسائيةُ في أبهى صورِها عبر المشاهد الحية التي ترسمُها (شيخة) لملامح الحياة في تلك الحقبة؛ حيثُ فرضت الظروفُ غيابًا مستمرًا لوالدها نظرًا لمهامه العسكرية مع جيش الملك عبد العزيز أو أسفاره المتكررة إلى (الدلم)؛ جعل الأمَّ الركيزةَ الوحيدةَ والصلبةَ للمنزل، وقد تجلت عظمتها في كونها "أمًا عصامية تعمل في حقلها لتعول أسرتها"[١]، فهي المربي الحاني

(١) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص٨.

الذي يحمل طفلته الباكية حين تدمى قدماها الحافيتان من وعورة الشوك والصخور، أثناء مرافقتها لفتيات القرية اللاتي كنّ يرتدين "الزرابيل[١]"[٢].

ولم تكن الأم تدير المنزل فحسب، بل كانت تدير الأزمات بصلابة صامتة؛ فعندما فتك **"وباء الجدري"** بالبلدة عام (١٣٥٨هـ)[٣]، واختطف ابنتها الصغرى "فاطمة"، واجهت الأم الفقد وحيدةً في غياب الأب الذي كان في الرياض؛ لتسلم "شرهة المناخ" ومخصص مالي للرجال تصرفه الدولة وهي شرهة سنوية"[٤]، وقفت بشجاعة مع جارتها زوجة اليمني؛ لتجهيز الفقيدة وتكفينها، مودعةً خصلات شعر ابنتها الناعمة قبل أن يواريها الثرى في مسجد القرية.

وحين تتابعت المحن بـ"سنة جبار" عام (١٣٦٠هـ)، حيث انهمرت أمطار "الديمة" بلا انقطاع لمدة شهر حتى تهاوت الجدران الطينية، ونبت العشب فوقها، ظلت الأم هي الملاذ الثابت، وفي تلك الأيام العصيبة التي لم تطلع فيها الشمس، تجلت روح التكاتف حين هبّ الجميع لحماية البلدة من الغرق، وكان من بينهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز "رحمه الله" إبان قضائه في الدلم[٥]؛ لتبقى الأم في ذاكرة أبنائها هي من يوجههم، ويذود عن أرزاقهم وسط تقلبات الزمان.

وتتجلى قوة المرأة في حماية قوت أطفالها عند وقوع التحولات القاسية؛ فبعد أن باع الوالد مزرعتهم الصغيرة لظرف ما، انتقلت العائلة لاستئجار مزرعة أخرى كانت مهجورة لسنوات طويلة؛ فبرزت هنا صلابة الأم التي استسلمت لقضاء الله، وبدأت العمل فورًا، واستدانت عشرة ريالات لتجهيز المزرعة، واحتياجات البئر من "المحالة والكثبان والحبال"، وتوجت هذا الصمود بموقفها الحازم أمام الدائن حين

---

(١) الزرابيل: جوارب من الصوف تُحاك يدويًا، يُنظر الجنيدل، سعد بن عبد الله، معجم التراث، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ص٦٥.

(٢) يُنظر: الخزيم، سارة بنت عبد الله، أمي شيخة ... ذاكرة وطن، دار الثلوثية، الرياض، ط١، (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م)، ص٨-٩.

(٣) يُذكر أن وباء "الجدري" من أبرز الأزمات الصحية التي واجهت المجتمع النجدي في تلك الحقبة؛ إذ أدى إلى وفيات واسعة؛ أثرت على البنية الاجتماعية، يُنظر: السويداء، عبد الرحمن بن زيد، نجد في الأمس القريب: صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عامًا، دار العلوم، الرياض، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٣٤٧-٣٤٨.

(٤) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص٢٦.

(٥) استطاع الملك عبد العزيز خلال فترة وجيزة أن يحوّل نجد من ساحة صراعات قبلية دامية إلى مجتمع يسوده الأمن والوئام، وذلك عبر تفعيل دور العلماء، نشر التعليم، تأسيس هيئات الأمر بالمعروف، تفكيك النظام القبلي وتحويل الولاء للدولة، وتأمين الطرق ونشر العدل، مع الجمع بين العفو عن الخصوم ومواجهتهم عسكريًا عند الحاجة؛ فحقق بذلك مشروع السلام الاجتماعي الذي امتد لاحقًا ليشمل جميع مناطق المملكة العربية السعودية، ينظر: الشيحة، محمد بن عبدالرحمن، وسائل الملك عبدالعزيز في تحقيق السلام الاجتماعي في نجد (١٣١٩-١٣٥١هـ/١٩٠٢-١٩٣٢م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة.

واجهته بعبارة: "لن تترك لأولادي حتى عشـــاء ليلة يا فلان؟!!!"؛ وهي صـــرخة تعكس وعيًا عميقًا بمسؤوليتها تجاه تأمين البقاء في ظل غياب العائل(١).

وفي خضم هذا الكدح، وثقت الذاكرة النسائية دخول "السيارة" لأول مرة للقرية مع صاحب السمو الأمير "عبد الله بن عبد الرحمن"، الذي كان يملك مزرعة كبيرة شـرق البلدة تسـمى "الرويضـة"، ويحضـر صلاة الجمعة في مسجد القرية الذي أنشأه، كان منظر السيارة حدثًا مذهلًا خرج لمشاهدته الجميع، رجالًا ونساءً وصغارًا؛ فكان علامة على بداية عصر جديد(٢).

وقد حفظت ذاكرة (شيخة) العادات الاجتماعية في الزواج في طفولتها ثم في شبابها، إذ انعكس ضيق المعيشـــة وبســـاطة الحياة على إهمال مظاهر الفرح بالزواج أو طلب رأي الفتاة من عاداتهم في الزواج، أن الفتاة لا تعلم بزواجها إلا في اليوم نفســـه، حتى تتم الخطبة بعد المغرب والعقد بين والدها بالزواج وتزف لزوجها في الليلة ذاتها، ثم يحضـر المهر الذي كان قطع سـجاد من الزل المصـنوع يدويًا... مع بعض النقود التي تسـمى الفرنسـي، وهو عملة معدنية، كانت تسـتخدم قبل عهد الملك عبد العزيز، واسـتمر تداولها في بداية عهده"(٣)، هذه الفكرة تصور عادة اجتماعية توحي ببساطة الحياة الأسرية، فالزواج باتفاق الأب مع الزوج والعروس لا تعرف بالأمر، ثم توضـــح بســـاطة المهر الذي يمثل قطعة من الأثاث وقليل من المال "الفرانسي"، وهو "الريال النمساوي المسمى بالفرنسي"(٤).

وفي شباب "أمي شيخة" كان من عاداتهم بالزواج أن تجتمع النساء بعد المغرب ويضرب الدف وتردد النساء الأناشيد ويصفقن ويستمر الحفل إلى آذان العشاء، والعشاء من بعد الظهر ليقدم بعد المغرب(٥).

ومن العادات في الأســـر هدية الزوج لزوجته بعد الولادة، إذا أكملت الزوجة مدة النفاس يحضـــر لها الهدية وتسمى "طلاعة أو ظهارة"، وقد أحضر الزوج "أمي شيخة" لها "ساعة حيفال" وقطع قماش وتذكر أن اســـم الســـاعة قد نطقته خطأ، وهذا مما يدل على دقتها في ذكر المعلومات، وهدية الزوج تختلف باختلاف قدرته المالية حتى اكتفى بعضهم بتقديم عباءة وملابس(٦).

---

(١) يُنظر: أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص١٦.

(٢) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص١٦.

(٣) أمي شيخة، ص١٥.

(٤) تاريخ المملكة العربية السعودية، ج. عبد الله الصالح العثيمين، الرياض، العبيكان، ص١١، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ج٢، ص٣٢٢.

(٥) أمي شيخة، ص٢٣.

(٦) انظر: أمي شيخة، ص٤٤.

وحفل الزواج يكون في سطح منزل أهل العروس، ومظاهر الزينة للنساء يوم الزواج يضعهن المشاط على الشعر ويضعن الديرمة، ويضعن نقطة من الزعفران المركز على الخد، ومسحوق أحمر اللون عطري الرائحة، والهدف أن يكون نقطة حمراء في الخد، ومما يوضح أهمية هذا المظهر في تزيين الوجه أنهم كانوا يطلقون على البنات الصغيرات "مشاشات النقطة" لن البنت تضع أصبعها على خد أمها محاولة نزع النقطة الحمراء(١)، الدقة والجمال في وصف مظاهر الزينة حتى استحضرت هذا الوصف للبنات الصغيرات "مشاشات النقطة".

فاحتفالهم بالزواج زمن شباب (شيخة) اختلف عن سابق عهده، وصار حفل الزواج معلنًا والاستعداد من الضيوف كبارًا وصغارًا حتى البنات الصغار قبل الزواج بيومين تضع لهن الحناء بأيديهن.

ووليمة العشاء في الزواج "وقته بعد المغرب وهو (قرصان) أو (جريش) فالأرز كان قليلًا وغير متوفر"(٢)، تطورت مظاهر الزواج من أن البنت تتزوج صغيرة ولا تعلم بزواجها ثم صار معلنا وتحضر النساء والبنات الصغيرات ليشارك المجتمع كله في مناسبات الزواج بما يناسب طبيعة البلدة وأهلها.

كانت أبواب البيوت مفتوحة فالصغار يلعبون داخل تلك البيوت ويطلعون على أسرار أهل تلك البيوت، فسبل الترفيه للصغار محدودة باللعب مع بعضهم، وهي الطريقة التي حفظت ذاكرة (شيخة) حيث روت موقفًا وكأنها تعرض مقطعًا مسجلًا مشاهدًا وتفصح عن مشاعرها نحو ورايتها لقصة "حصة" ابنة إمام المسجد كانت حصة صغيرة بعمر (شيخة) وتلعب معها، وكان والد حصة يأكل مع الأمير في مزرعته، وأحضر مرة علبة عصير من الحديد ويعطيها لابنته حصة فمتلأ علبة العصير ماء وتضعه على رأسها وتمشي بدلال وتبختر تقلد النساء اللاتي يضعن قدر الماء فوق رؤوسهن في نقل المياه، هذه الصورة لحصة تغبطها عليها (شيخة) ورفيقاتها، فيتقربن من حصة ويتوددن لها لتمنحهن علبة العصير ويعملن مثلها(٣)،كان هذا الموقف من المفرحات للبنات الصغيرات، ووالدة "حصة" كان تخيط الثياب و(شيخة) تلعب مع حصة في منزلهم والأم تخيط فتختفي إبرتها ولقلة الإبر كانت تظن أن إحدى الصغيرات أخذت إبرتها فكانت (شيخة) تترقب تحركات الأم خائفة من اتهامها(٤)، مشاعر غبطة من حصة، ومشاعر خوف وقلق من والدة حصة، وأيضًا صورة عاطفية للأب الذي يقدم ما يستطيع لإسعاد ابنته الصغيرة مع المهام التي يقوم بها.

---

(١) أمي شيخة، ص٤٤.

(٢) أمي شيخة، ص٤٥.

(٣) انظر: أمي شيخة، ص٢٢.

(٤) انظر: أمي شيخة، ص٢٣.

كانت السقوف في تلك الحقبة قريبة غير مرتفعة، يستخدم فيها أخشاب أشجار الأثل، وسعف النخيل، ثم تغطى بالطين[١]، وكان التعامل مع شجر الأثل يتم بوعي فطري؛ حيث يختارون وقتًا محددًا لقطعها؛ لضمان عدم سريان الماء في أغصانها وخلوها من «القادح» (سوسة الخشب)، وللأثل ثمرة مستديرة تسمى «الكرمع»، ويرتبط بها مثل شعبي يقول: "الله يعز الأثل يطلع كرمع"[٢]، واعتمدت النساء على ذكائهن الفطري في تحويل مخلفات البيئة إلى أدوات إنتاج؛ فالجلود تُحول إلى "قربة للماء، وصميل للبن، وعكة للسمن"، تسرد المؤلفة على لسان أمها "شيخة": "كان الرجال إذا ذبحوا خروفًا، أو أكثر للضيف يُعطون إحدى النساء الجلد؛ لتستفيد من الصوف في الغزل، وحياكة السدو[٣]، وكانت النساء تصنع من الجلد قربة للماء، أو صميلًا لخضّ اللبن، أو عِكّة صغيرة، يُحفظ فيها السمن، والعِكّة تصنع – عادة – من جلد الضبّ"، وبرزت نقوش السدو البديعة مثل: «المذخر، المقص، المشط، العويرجان، الشجرة»، على أنها لغة بصرية تحمل دلالات اجتماعية وثقافية، كما برز التكامل بين البدويات اللاتي يغزلن الصوف، ويعملنه «نمايا»، والحضريات اللاتي يصنعن من سعف النخيل «الحصير، والسفرة، والزبيل».

إن هذا المشهد اليومي يُجسّد اقتصادًا نسائيًا قائمًا على الابتكار، وأكبه تراحمٌ اجتماعي وتراث روحي؛ إذ يذوب مفهوم الملكية أمام حاجة الجار، كما في قصة «البئر العذب» ببيت الزوجين العقيمين: "فعوّضهم الله بهذه البئر العذب ماؤها؛ حتى يدعو لهم الجميع، وكان باب بيتهم لا يغلق أبدًا، ونساء القرية يتردَّدن طوال اليوم، وكان رجال القرية يتناوبون على حراستها"[٤]، وتجلت معاني الجوار في مشاركة الجارة في الغسل والتكفين وقت الوباء، وفي نظام "الدول"؛ لإكرام الضيف الذي يضمن توزيع المسؤولية على بيوت القرية بالتساوي.

وقد ساد في القرية نظام اجتماعي يكرس مبدأ "العائلة الواحدة"؛ إذ ينادي الصغار كل رجال القرية بص«أبوي" ونساءها بـ"أمي"، وكان جميع أطفال القرية يُسمّون الرجال (أبوي فلان)، وجميع النساء

---

(١) هذا النمط يعكس اعتماد العمارة النجدية على الموارد الطبيعية المحلية، ويبرز الطابع البيئي – الوظيفي للعمارة التقليدية، ينظر صالح بن عبد العزيز العبد اللطيف، العمارة التقليدية في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص٤٢.

(٢) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص٢١.

(٣) السدو في المملكة العربية السعودية ليس مجرد حرفة تقليدية، بل هو جزء أصيل من الهوية الثقافية الوطنية؛ باعتباره فنًّا بصريًا يعكس البيئة الصحراوية ويجسد ذاكرة المجتمع البدوي، فكل شكل من أشكال السدو يُشير إلى ذاكرة جمعية، ويُعيد إنتاج رموز البيئة في نسيج يومي، ليصبح البيت أو المزواد ليس مجرد أداة، بل وثيقة فنية تُسجّل هوية الجماعة.

(٤) يُنظر: أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص١٢.

(أمي فلانة)، ولم نكن نسمع اسم جدّ، أو عمّ، أو خال، ولا جدّة، أو عمّة، أو خالة"؛ وهو ما يعكس ولاءً جماعيًا يتجاوز حدود الدم، وغرس قيم العفة والحياء: "عليكنّ باللعب بعيدًا عن الفتيان".

برزت الرعاية والرحمة بالآخرين بوصفها قيمة مثلى، وتجلى ذلك في دور الأم بوصفها «مداوية» تضمد جراح اليتامى والمحتاجين؛ إذ تصف شيخة والدتها: بقولها: "كانت أمي رحيمة بالمحتاج واليتيم، أذكر صبيًا يتيمًا كان يعاني قروحًا في رأسه وبثورًا في عينيه، كانت والدتي تعالجه بشجرة اسمها (زيرجانة)... تتركها في ساقي الماء؛ حتى لا تجف جذورها، أما العيون فكانت تكشط البثور بقطعة رقيقة من سعف النخلة، ثم تضع مسحوقًا، لونه قُرمزيّ"(١).

أما الدين فكان عقيدة حياة تظهر في الرضا بالقضاء، وفي العناية بالمصحف بحفظه داخل «بقشة مطرزة»، وعلى الصعيد التربوي برز غرس قيم العفة والحياء في نفوس الناشئة من خلال توجيهات صارمة: "عليكنّ باللعب بعيدًا عن الفتيان؛ حرصًا على قيم الحياء، والعفة"، واقترن هذا الحياء بـ بركة العمل المرتبط بالتوكل؛ فبرغم الاستدانة (١٠ ريالات) لاستصلاح أرض مهجورة؛ فاليقين بأن السعي مقرون بالرزق جعل الأم تقف بصلابة أمام الدائن لحماية قوت أطفالها.

وقام المجتمع آنذاك على القناعة القصوى والزهد؛ فكانت المقتنيات المادية في أدنى حدودها، والفضة هي الحلية السائدة في غياب الذهب: "كانت الملابس حينها قليلة، فالرجل لا يملك إلا ثوبًا واحدًا، أو ثوبين تقريبًا... لم يكن يعرف العقال بعد، أما ملابس النساء فثلاثة ثياب، وشيلة، وبرقع عند البدو، ونفس الشيلة، وتسمّى (غدفة) عند الحضر... وكانت الحلي السائدة وقتها من الفضة، ولا يوجد ذهب، وصدق المثل الذي يقول (الشيلة إن لقت زين وفته، وإن لقت شين ظفته)"(٢).

وقد تحسنت الأوضاع الاقتصادية في مرحلة شباب (شيخة)، وبقيت حياتهم بسيطة كما وضحتها قصة زوج (شيخة) حين كان يعمل في مزرعة الأميرة العنود بنت الملك سعود، "إذ طلبت الأميرة من زوج (شيخة) أن يحضر الله وإبريق لونه ذهبي ويسلمها للقهوجي ليعد القهوة والشاهي لوالدها في هذا الطقم الفاخر، وفعلًا هذا ما حصل، ...وبدأ القهوجي بصب القهوة، شك الملك سعود بأن الدلة والإبريق مطلية بماء الذهب، وكان معه عصاه التي يتوكأ عليها فدفع بها الصينية... وقال: لن أشرب في شيء فيه ذهب أو مطلي بالذهب فهذا حرام..."(٣)، فالملك قدوة للتواضع والالتزام بتعاليم الدين.

(١) يُنظر: أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص٢٥.

(٢) أمي شيخة، ص٢٥.

(٣) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص٧٩.

إنَّ قصة "الضبيعة"، ومسيرة "شيخة" ووالدتها لا تُمثّل مجرد سردٍ لذكرياتٍ عابرة، بل هي توثيقٌ حيّ لصلابة الإنسان السعودي في مواجهة العدم؛ حيث استطاعت المرأة في تلك الحقبة، أن تطوع "شظف العيش"؛ لتكون مدرسةً في التدبير والقيادة؛ فبين مهارة "السدو" التي نسجت الهوية، وبين شجاعة مواجهة "الجدري"، و"سنة جبار"، تجلّت فلسفة حياة كاملة قامت على لإنتاج من أجل البقاء، والتكافل من أجل الاستمرار، لقد كانت القرية ببيوتها الطينية المترابطة، وأنفاس أهلها الراضية، ومواقف الأم العصامية في حقول الكدح، تمثل نواة المجتمع الأصيل الذي لم تكسره الحاجة، بل صنع من الفضة، والسعف والجلد حياةً تفيضُ كرامةً وعزة، ممهدةً الطريق بذاكرتها المادية والروحية لانبثاق عصرٍ جديد دون أن تفقد الجذور أصالتها.

المبحث الثاني: مرحلة "الهياثم والسيح": مخاض التطور والتحول المؤسسي

تمثل مرحلة «الهياثم» في الذاكرة النسائية السعودية، حلقة الوصل الجوهرية بين شظف العيش في الضبيعة، وبدايات الاستقرار الحضري؛ إذ توسعت دائرة عطاءات المرأة من إدارة الندرة والكدح الميداني، إلى قيادة التنمية الاجتماعية؛ فلم تعد المرأة في هذه المرحلة مجرد قوة عاملة في الحقول كما كانت في الضبيعة، بل تحولت إلى مديرة للأمن الغذائي والاجتماعي، داخل بيئة منزلية بدأت تأخذ طابع التنظيم المؤسسي المصغر.

كما أتاح المجتمع مساحات وفرصًا لتجارة المرأة كما وثقتها ذاكرةُ (شيخة) بظهور بواكير الاستقلال المالي في نشأة (سوق الحريم) "في الخرج حيث يعرضن بضاعتهن في دكاكين صغيرة دون فواتير"(١)، فكان أول فضاءٍ اقتصاديٍ منظم؛ وهو ما أتاحَ دمجَ المرأة في الدورة التنموية مع الحفاظ الصارم على ميثاق الحياء، والقيم الاجتماعية(٢).

وتتجلى عبقرية المرأة في الهياثم من خلال قدرتها على تدبير المخزون؛ فبينما كان الرجل يجلب المؤونة، كانت المرأة هي من تدير المستودع الصغير، وتصنف الموارد بين رفوف خشبية للتمور (القلّة)(٣)، ومساحات طينية للبصل، وهذا الانتقال من الاستهلاك الآني إلى ثقافة التخزين لشهور؛ يعكس نضجًا في

(١) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص٩٢.

(٢) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص٩٢.

(٣) وعاء من الخوص يُحفظ فيه التمر، وتدبير المخزون المنزلي كان من صميم مهام ربة البيت في نجد؛ يُنظر: الجنيدل، سعد بن عبدالله، معجم التراث (الأدوات)، ص١٤٢.

العقلية النسائية، التي استطاعت تأمين احتياجات الأسرة بعيدًا عن تقلبات المواسم، محولةً البيت الطيني إلى وحدة اقتصادية مكتفية ذاتيًا(١).

وطريقة التخزين هذه روتها سيرة (شيخة) في نموذج التكاتف في التمويل الغذائي "فالرجل الذي عنده عدد من النخيل – لا تتجاوز عادة سبع نخلًا ووثقت الذاكرةُ بواكر الاستقلال المالي في نشأة (سوق الحريم) "في الخرج حيث يعرضن بضاعتهن في دكاكين صغيرة دون فواتير"، فكان أول فضاءٍ اقتصاديٍ منظم؛ وهو ما أتاحَ دمجَ المرأة في الدورة التنموية مع الحفاظ الصارم على ميثاق الحياء، والقيم الاجتماعية، فإنه يخصص إحداها للمرأة التي ليس لها عائل ويقول: هذي مقياظة فلانة أي غذاء فلانة بالقيظ أي فترة الصيف، ويحفظ التمر ليؤكل في الشتاء بطريقة الضمد أو الكنز، فيكون من صيب هذه المرأة المحتاجة(٢)، هذه القصة أو الفكرة تعكس الترابط في مجتمع القرية وإحساسهم ببعضهم والخير باق في كل مجتمع مسلم على اختلاف المستوى المعيشي.

وانتقلت المرأة في الهياثم إلى مرحلة بناء مجتمع الأسرة لإعداد مجتمعًا أوسع، عبر تنظيم مكاني يحترم خصوصيتها، ويزيد من نفوذها الاجتماعي؛ إذ لم تكن البيوت المتلاصقة مجرد جدران، بل كانت مساحة لممارسة تضامن المجتمع، وتبرز ملامح هذا التكاتف في غياب مفهوم الأجير؛ إذ كانت النساء يقدن منظومة عمل جماعي لتجهيز الولائم الكبرى (الجريش والقرصان)؛ وهو ما حول المطبخ التقليدي إلى مركز قيادة، يدير المناسبات الاجتماعية بمرونة واقتدار.

وتتكرس رمزية (الأم غنيمة) في هذه المرحلة بوصفها أيقونة للتحول النسائي؛ فبعد أن كانت امرأة عصامية تشرف على حرث الأرض، وزرع القمح في الضبيعة، أصبحت في الهياثم هي المرجعية الاستشارية التي تقصدها الجارات في أدق أمورهن، وهذا التحول يثبت أن القيادة النسائية في تلك الحقبة لم تكن هامشية، بل كانت نابعة من خبرة تراكمية، وحكمة ميدانية جعلت من المرأة بوصلة للمجتمع المحلي.

وتعاملت المرأة مع بوادر التطور بوعيٍ؛ ويتجسد ذلك في استقبال "الراديو" الذي اعتبرته الأم علمًا من الله ساقه للبشر، إن هذا الانفتاح الواعي يؤكد أن المرأة السعودية في الهياثم، كانت شريكًا أساسيًا في صياغة ملامح التطور، ممهدةً الطريق بذكائها الاجتماعي؛ لإرساء قواعد المجتمع الحديث(٣).

---

(١) حول ثقافة التخزين المنزلي وإدارة الأطعمة في البيوت النجدية القديمة؛ يُنظر: عبد العزيز بن إبراهيم الأحيدب، من حياة أهلنا في نجد، مطابع الفرزدق، الرياض، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص٧٤.

(٢) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص٢٤.

(٣) حول دخول المخترعات الحديثة (كالراديو والسيارة) وتقبل المجتمع لها في نجد؛ يُنظر: السويداء، عبد الرحمن، نجد في الأمس القريب، ص٢٤٢.

واجهت المرأة تيارات الحداثة الوافدة بصلابةٍ قيميّة نادرة، وقد شهدت المرأة السعودية في إقليم الخرج ما بين عامي (١٣٨٠هـ-١٤١٠هـ)، وهي الحقبة التي نقلت الذات الإنسانية من نمط العيش الفطري إلى الحداثة المؤسسية؛ فلم يكن التطورفي ذاكرة (أمي شيخة) مجرد استبدالٍ مادي، بل كان إعادة صياغة للوعي الجمعي أمام شواهد النهضة الوطنية الكبرى، ويمكن رصد هذا الصمود والتحول عبر المحاور الآتية:

- من الكتاتيب إلى المؤسسة: ثورة الوعي التعليمي

يُمثلُ الانتقالُ من التعليم الشعبي إلى التعليم النظامي منعطفًا بنيويًا في تاريخ المنطقة، حيث شكّلت مرحلةُ الكتاتيب التمهيدَ الشرعيَّ والاجتماعيَّ الضروريَّ لتقبّل المؤسسة التعليمية الحديثة، وتتجلى ملامحُ هذا التحول الوجداني والمؤسسي في ريادة "المطوعات"؛ فتذكر(شيخة) بتقديرٍ عالٍ أسماء الرائدات اللواتي وضعن اللبنة الأولى؛ ففي الدلم برزت أسماء مثل: (شيخة البخيتان وحصة الجلال)، وفي السيح كانت (المطوعة فاطمة بنت بديوي العتيبي) تدرّس البنات القرآن في بيتها[١]، ومع بزوغ التعليم النظامي تصف مشهد التأسيس الأول بمشاعر الفخر، مشيرةً إلى افتتاح أول مدرسة للبنات بالخرج بإدارة الأستاذة (فاطمة العتيبي)؛ حيث كان الطموح يتجاوز بساطة البدايات.

ووثقت الذاكرة النسائية أيضًا تجاوز المرأة عتبة التعليم العام إلى التخصص الجامعي، باعتباره الثمرة الأكبر لهذا التحول؛ إذ انخرطت فتيات المنطقة في جامعة الأمير سطام بالخرج ضمن تخصصات الطب والهندسة والتربية، ويمثل هذا الانتقال ما يُعرف بالمؤسسة التعليمية التي نقلت المرأة من حيز محو الأمية إلى حيز المشاركة التنموية الشاملة[٢].

وقد وضحت سيرة (شيخة) موقف أسرتها الصغيرة فزوجها كان مستقرًا في عمله وكيلًا في مزرعة الأميرة العنود بنت سعود ومعه أسرته، ثم اضطر زوجها للانتقال من العمل في المزرعة "إلى وسط الخرج، فقد صارت بناتي على وقت دخول المدرسة، ولم يكن في المنطقة حولنا مدارس للبنات"[٣]، استجابت الأسر إلى دعوة الدولة لتعليم البنات مما يدل على مرونة المجتمع وقابليته للتطور وفق المصالح الشخصية ومصلحة الوطن.

(١) حول دور المطبوعات والتعليم التقليدي في نجد؛ يُنظر: الخريجي، منصور بن عبد العزيز، دراسة في تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، دار المريخ للنشر، الرياض، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٨٨.

(٢) حول مؤسسة تعليم البنات في السعودية وبداياتها؛ يُنظر: التويجري، حصة بنت محمد، تاريخ تعليم البنات في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد، الرياض، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص١١٢.

(٣) أمي شيخة، ص٨٦.

المبحث الثالث: عوامل التطور وفق خطط الوطن

رصدت ذاكرةُ (شيخة) بزوغَ عصرِ الرؤيةِ الذي وضعَ الوطنَ في مصافِّ القوى العالمية؛ إذ تجلى ذلك في مشـــروعاتٍ تتجاوزُ النمطَ التقليديَّ للبناء، مثل (نيوم، وذا لاين، والقدية، ومدينة الأمير محمد بن سـلمان غير الربحية، ومدينة أوكسـاجون، وطرح أرامكو للاكتتاب العام)، وتُمثلُ هذه المشـروعاتُ في وعي المرأة السعودية العبورَ الآمن من مرحلة التأسيس إلى مرحلة السيادة التكنولوجية والاقتصادية، وهي الثمرةُ الماديةُ لاستقرارٍ سياسيٍّ زرعتهُ الأجيالُ السابقةُ، ويقطفُ ثمارَه جيلُ الرؤيةِ الواعد(١).

ويجسد كتاب (أمي شيخة ... ذاكرة وطن) الخلفية التاريخية والاجتماعية التي انطلقت منها مشروعات التمكين الوطني والقفزات التنموية في السعودية، كما كان السرد الأدبي السلس في سيرة (أمي شيخة ... ذاكرة وطن) معينًا على اســتنباط عوامل تطور مجتمع الخرج مســايرًا خطوات التطور الوطني، فمن أهم العوامل تقبل المجتمع ومرونته في قبول الجديد من مظاهر التجارة والتعليم، ويمكن إبراز عامل قرب أمراء من آل سعود من المجتمع البسيط في (الخرج) كما وضحت تفاصيله سيرة (شيخة) إذ روت أحداثًا تجلي تأثير هذا العامل على الأخذ بيد المجتمع إلى التطور بالتدريج للوصـول لنتائج نافعة للوطن أمراء من أهل البلدة: في منطقة الخرج كانت مزارع للأمراء من آل ســعود – غفر الله لموتاهم وحفظ الأحياء منهم – تحلوا بالتواضع فاقتربوا من جيرانهم، كان سكن الأمير في الرياض، ويحضر في الإجازة لمزرعته، ويصلي الجمعة في مسجد القرية، ثم يأخذ معه الإمام وبعض وجهاء القرية، وحضر مرة بسيارته التي أذهلت أهل القرية، حتى إذا دخل الأمير والرجال للصلاة خرجت النساء لمشاهدة السيارة(٢).

ومن حسن علاقة الأمراء بهم أن ابن عم زوج "شيخة" كان يعمل في قصر الملك عبد العزيز في "حي السيح بالخرج" ودعا زوجها للقصر، وإذا حضر الأمير لقصره يطبخ كميات من الأرز واللحم ويوزع على من يحضر حول القصر من نساء ورجال وأطفال(٣).

ولحســن تعامل الأميرات مع نســاء القرية، كنا يتواصــلن معها بالزيارة وتبادل الهدايا، فالأميرة "العنود بنت سعود" كانت صديقة "لشيخة" وحدث أن حدث خلاف بين "شيخة" وزوجها، فغضبت وذهبت لأهلها، فزارتها الأميرة "العنود" وأصـلحت بينهما، فقالت لها "شـيخة" عود واطلبي منه أن يحضـر ليعيدني إلى بيتنا، فرفضــت الأميرة وأجبرت "شــيخة" بالذهاب معها(٤)، يعد هذا التواصــل بين الأمراء والأميرات

(١) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص١٧١.

(٢) أمي شيخة، ص١٦.

(٣) أمي شيخة، ص٣٥.

(٤) أمي شيخة، ص٧٨.

عاملًا أساسًا في التقرب من أفراد المجتمع وكسب مودته وقبوله للتجديد والتطور الذي يصب بمصلحة المواطنين والوطن.

كما كان عامل الانفتاح على العالم من العوامل القوية في القفزات التي أعدت المجتمع للتطور ومواكبة الجديد، فافتتاح المدارس والمستوصفات[١]، كان داعيًا لاستقطاب المدرسين والأطباء من الدول العربية، فقد ذكرت (شيخة) أن في الخرج عمائر أغلب سكانها من المعلمين والأطباء الذين كان يجتمعون مع أهل البلدة ويتبادلون الاحاديث ويكتسبون تبادل الخبرات[٢].

كما ارتبط عامل الانفتاح على العالم بالمشاريع التي أقامتها الدولة في منطقة (الخرج)، ومن أبرزها "مشروع الخرج الزراعي؛ حيثُ استحضرت (شيخة) تفاصيل هذا المشروع منذ أن افتتحه الملك عبد العزيز – رحمه الله – عام (١٣٥٤هـ/١٩٤١م)، وطلب من الرئيس الأمريكي (روزفلت) بعثة لتطوير الزراعة في المملكة العربية السعودية، فجاء (عبدالرحمن بن قاسم – رحمه الله – مع البعثة من الظهران إلى الخرج مترجمًا عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٥م)"[٣]، وقد سبق هذا البرج خزان المياه في الخرج الذي أنشئ في عام (١٣٨٠هـ)، فالبرج لا يرمز فقط إلى الماء بل يرمز للتقدم المعماري، وحضور الدولة الراعية التي رسخت الاستقرار بعد زمن التنقل والمعاناة[٤]، وحضور الموظفين الأجانب واختلاطهم بالمواطنين كان داعمًا لمظاهر التطور الاجتماعي والاقتصادي.

وكانت وسائل الإعلام عاملًا ثالثًا من دواعم التطور وفي بدايته كان وسيلة ترفيه موجهة المجتمع البسيط إلى طرق التطور كما وضحتها (شيخة) حين وصفت اجتماعات الأسر، حيث نساء القرية يجتمعن أمام البيوت يراقبن الصغار ويتجاذبن أطراف الحديث بينهن[٥]، حتى عرفوا الإذاعة فكانوا يتابعون البرامج الإذاعية مع بعضهن[٦]، ثم عرفوا التلفاز وكان بالأسود والأبيض، وكان أهل القرية يتناولون العشاء في بيوتهم ثم في يذهبون لجارهم الذي يملك جهاز التلفاز، فيجلس الأطفال في المقدمة، ثم بعدهم الرجال، ثم النساء، يتابعون مع بعضهم التلفاز لمدة ساعة واحدة كل ليلة[٧].

---

(١) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص١٠٧.

(٢) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص١٠٩.

(٣) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص٦٤.

(٤) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص٢١٥.

(٥) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص٨٨.

(٦) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص١٠٣.

(٧) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص١٠١.

ومن البرامج التي يتابعونها كانت برامج هادفة مثل الذي يعرض أغنية للتمامي يغني للأمهات "شفت الخالة وأعجبتني في مشيتها معها حقيبتها ودفاترها"، تشجيعًا للأمهات ليلتحقن بتعليم "محو الأمية"[1]، أحسنت الدولة السعودية في توظيف وسائل الإعلام في طريقها للتطوير والبناء السليم.

الخاتمة:

إن الذاكرة النسائية في السعودية، وبخاصة في إقليم الخرج، أكثر من مجرد وعاء للحكايات أو ناقلة للخبرات؛ فهي المستودع الأمين الذي صان جوهر الهوية الوطنية وحمى القيم الروحية والاجتماعية والمادية التي تناقلتها الأجيال، كما خلص البحث إلى النتائج الآتية:

١- أنَّ المرأةَ السعوديةَ في مرحلة الضبيعة اضطلعت بقيادة المنظومة الاقتصادية والاجتماعية في أوقات الشدائد؛ إذ واجهت الأزماتِ الوبائيةَ بصلابةٍ مذهلة.

٢- تجلت في مرحلتي "لهياثم والسيح، قدرةٌ فائقةٌ على استيعاب مقتضيات التطور من تعليمٍ، وتقنيةٍ، وعمران دون انبتاتٍ عن الجذور الأصيلة؛ إذ طوعت المرأة أدوات العصر لخدمة قيم المجتمع ومسايرة سبيل التطور.

٣- أنَّ علاقةَ المرأةِ السعوديةِ بكيان الدولة، ورموزها تقومُ على بيعةٍ وجدانيةٍ عميقة، ظهرت معالمها في مواقف الفداء، والوفاء خلال الأزمات التاريخية، وفي غرس قيم الانتماءِ في نفوس الناشئة؛ وهو ما جعلها الركيزة الأهم في معادلة الاستقرار الوطني.

٤- أن ما تحظى به المرأة اليوم في ظل رؤية المملكة (٢٠٣٠م) يعد استحقاقًا تاريخيًا وتتويجًا لملاحمَ صامتةٍ سجلتها الأمهات في البيوت الطينية، وانتقلت بذكائهنَّ إلى فضاءات العلم، وصناعة القرار.

٥- أنَّ نظام الجيرة والتكافل الاجتماعي الذي وثقته الذاكرة النسائية مَثَّلَ العقد الاجتماعي الفطري الذي حفظ تماسك المجتمع ومن ثم الدولة.

٦- كانت علاقة أمراء آل سعود رجالًا ونساء مع طبقات المجتمع عاملًا مهما في عملية التطوير.

٧- من مظاهر سلامة المجتمع منذ توحيد المملكة العربية السعودية الانفتاح على العالم بتنظيم الحكومة، وتعاون أبناء المجتمع في الخرج وهو يمثل كل مناطق المملكة.

٨- وظفت الدولة الإعلام في بث سياستها وتحقيق أهدافها للارتقاء بالمجتمع والوطن.

(١) أمي شيخة ... ذاكرة وطن، ص١٠٢.

توصيات البحث:

١- إعداد دراسة أسلوبية لكتاب (أمي شيخة ... ذاكرة وطن).

٢- دراسة الأسلوب القصصي في كتاب (أمي شيخة ... ذاكرة وطن).

المصادر والمراجع:

الخزيم، سارة بنت عبد الله. *أمي شيخة ... ذاكرة وطن*. ط١، دار الثلوثية: الرياض، (١٤٤٧هـ/٢٠٢٥م).

الأحيدب، عبد العزيز بن إبراهيم. *من حياة أهلنا في نجد*. مطابع الفرزدق: الرياض، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

الجنيدل، سعد بن عبد الله. *معجم التراث*. دارة الملك عبد العزيز: الرياض، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

الخريجي، منصور بن عبد العزيز. *دراسة في تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية*. دار المريخ للنشر: الرياض، (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

الحارث، حمدان؛ د. دوش الدوسري؛ د. سامي الجمعان؛ د. عبد الرحمن المحسني؛ د. عبد الله الحامد؛ د.عبد الله الحيدري؛ د. عبد الله المعيقل؛ د.كوثر القاضي؛ د. منال العيسى؛ د. ميساء الخواجا. *الأدب السعودي*. دار جامعة الملك سعود للنشر: الرياض، (١٤٤٢هـ/٢٠١٢م).

التويجري، حصة بنت محمد. *تاريخ تعليم البنات في المملكة العربية السعودية*. مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

السويداء، عبد الرحمن بن زيد. *نجد في الأمس القريب: صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ستين عامًا*. دار اليمامة: الرياض، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

عبد اللطيف، صالح بن عبد العزيز. *العمارة التقليدية في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية*. دارة الملك عبد العزيز: الرياض، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

عبد الدايم، د. يحيى. *الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث*. (د. ط)، دار النهضة: لبنان، بيروت، (د. ت).

فتحي، إبراهيم. *معجم المصطلحات الأدبية*. المؤسسة العربية للناشرين المتحدين: تونس، (٢٠٠٠م).

ابن منظور. *لسان العرب*. دار صادر. بيروت.

محمد، د. شعبان عبد الحكيم. *السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث*. ط١، الوراق للطباعة: عمّان، الأردن، (٢٠١٥م).

الرسائل العلمية:

الشيحة، محمد بن عبد الرحمن. *وسائل الملك عبد العزيز في تحقيق السلام الاجتماعي في نجد (١٣١٩-١٣٥١هـ/١٩٠٢-١٩٣٢م)*. [رسالة دكتوراه غير منشورة]، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية: الرياض، قسم التاريخ والحضارة، (١٤٢٨هـ).